

مجمع الأمثال

655 - تَسْمَعُ بِالْمَعْيَدِيَّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ .

ويروى " لأنَّ تَسْمَعَ بالمعدي خير " و " أنَّ تَسْمَعَ " ويروى " تسمع بالمعدي لا أن تراه " والمختار " أن تسمع " .

يضرب لمن خيَّرهُ خَيْرٌ من مَرَّآه ودخل الباء على تقدير : تُحَدِّثُ به خير .
قال المفضل : أولُ مَنْ قال ذلك المنذر ابن ماء السماء وكان من حديثه أن كُبَيْشَ ابن جابر أخا ضَمْرَةَ بن جابر من بني نَهْشَل كان عَرَضَ لَأَمَةٍ لزرارة بن عُدُس يقال لها رُشَيْدَة كانت سَبِيحَةً أصابها زُرَّارَة من الرُّفَيْدَات وهو حي من العرب فولدت له عمرا وذُوَيْبَا وبُرْغوثا فمات كُبَيْش . وترعرع الغلامَة فقال لقيط بن زرارة : يا رُشَيْدَة مَنْ أَبُو بَدَيْكِ ؟ قالت : كُبَيْشُ بن جابر قال : فاذهبي بهؤلاء الغلامَة فغَلَسِي بهم وجه ضمرة وخَبَّرِيه مَنْ هُم وكان لقيط عدوا لضمرة فانطلقت بهم إلى ضَمْرَةَ فقال : ما هؤلاء ؟ قالت : بنو أخيك فنتزع منها الغلامَة وقال : الدَّحْقِي بأهلك فرجعت فأخبرت أهلها بالخبر فركب زُرَّارَة وكان رجلا حليما حتى أتى بني نَهْشَل فقال : رُدُّوا على غِلَامَتِي فسبَّه بنو نهشل وأهْجَرُوا له فلها رأى ذلك انصرف فقال له قومه : ما صنعت ؟ قال : خيرا ما أَحْسَنَ مالقيني به قومي فمكث حولا ثم أتاهم فأعادوا عليه أسْوَأَ ما كانوا قالوا له فانصرف فقال له قومه : ما صنعت ؟ قال : خيرا قد أَحْسَنَ بنو عمي وأجملوا فمكث بذلك سبعَ سنين يأتهم في كل سنة فيردونه بأسوأ الرد فبينما بنو [ص 130] نهشل يسرون ضُحَى إذ لحق بهم لَحِقٌ فأخبرهم أن زرارة قد مات فقال ضمرة : يا بني نهشل إنه قد مات حليم إختكم اليوم فاتقوهم بحقهم ثم قال ضمرة لنسائه : قِفْنَ أَقْسَمُ بينكن الثكل وكانت عنده هند بنت كرب بن صفوان وامرأة يُقال لها خُلَيْدَة من بني عجل وسَبِيحَة من عبد القيس وسَبِيحَة من الأزد من بني طَمَثَان وكان لهنَّ أولاد غيرَ خُلَيْدَة فقالت لهند وكانت لها مُصَافِيَة : ولي الثكل بنتَ غَيْرِك ويروى وَلِي الثكل بنتَ غَيْرِك على سبيل الدعاء فأرسلَتْهَا مثلا فأخذ ضمرة شِقَّةَ بن ضمرة وأمه هند وشهابَ بن ضمرة وأمه العبدية وعَدْوَة بن ضمرة وأمه الطمثانية فأرسل بهم إلى لَقِيْط بن زُرَّارَة وقال : هؤلاء رُهْنٌ لك بغِلَامَتِكَ حتى أَرْضِيكَ منهم فلما وقع بنو ضمرة في يَدَيِّ لَقِيْط أساء ولايتهم وجفاهم وأهانهم فقال في ذلك ضمرة بن جابر : .

صرمَتْ إِخَاءَ شِقَّةَ يَوْمَ غَوْلٍ ... وإخْوَتَه فلا حِلَّاتٍ حِلَالِي .

كأنني إذ رَهَنْتُ بنيَّ قَوِّمِي ... دفعتهم إلى الصُّهْبِ السَّيِّئِ .

ولم أرْهُنْدَهُمْ بِدَمٍ وَلَكِنْ ... رَهْنْتَهُمْ بِصُلَاحٍ أَوْ بِمَالٍ .
صَرَمْتُ إِخَاءَ شَقَّةٍ يَوْمَ غَوْلٍ ... وَحَقَّ إِخَاءَ شَقَّةٍ بِالْوَصَالِ .
فَأَجَابَهُ لَقِيطٌ :

أَبَا قَطَّانَ إِنِّي أَرَاكَ حَزِينًا ... وَإِنَّ الْعَجُولَ لَا تَبَالِي حَنِينًا .
أَفِي أَنْ صَبَرْتُمْ نَصْفَ عَامٍ لِحَقْنَا ... وَنَحْنُ صَبَرْنَا قَبْلُ سَبْعَ سَنِينَ .
فَقَالَ ضَمْرَةُ [بِنُ جَابِرٍ] :

لَعَمْرُكَ إِنِّي وَطَّلَا بَحْبِي ... وَتَرَكْتُ بَنِيَّ فِي الشَّوْطِ الْأَعَادِي .
لَمَنْ نَوَّكَى الشُّيُوخَ وَكَانَ مِثْلِي ... إِذَا مَا ضَلَّ لَمْ يُنْذَعْشْ بِهَادٍ .
ثُمَّ إِنَّ بَنِي نَهْشَلٍ طَلَبُوا إِلَى الْمَنْذَرِ بِنِ مَاءِ السَّمَاءِ أَنْ يَطْلُبَهُمْ مِنْ لَقِيطٍ فَقَالَ لَهُمُ
الْمَنْذَرُ : نَحْنُ نَحْنُ عَنِي وَجُوهَكُمْ ثُمَّ أَمَرَ بِخَمْرٍِ وَطَعَامٍ وَدَعَا لَقِيطًا فَأَكَلَا وَشَرَبَا حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ
الْخَمْرُ مِنْهُمَا قَالَ الْمَنْذَرُ لِلْقِيطِ : يَا خَيْرَ الْفَتَيَانِ مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ اخْتَارَكَ اللَّيْلَةَ عَلَى
نَدَامَى مُضَرٍّ ؟ قَالَ : وَمَا أَقُولُ فِيهِ ؟ قَالَ : إِنَّهُ لَا يَسْأَلُنِي شَيْئًا إِلَّا أَعْطَيْتُهُ إِيَّاهُ غَيْرَ
الْغِلْمَةِ قَالَ الْمَنْذَرُ : أَمَّا إِذَا اسْتَنْثَيْتَ فَلَسْتُ قَابِلًا مِنْكَ شَيْئًا حَتَّى تَعْطِيَنِي كُلَّ شَيْءٍ
سَأَلْتُكَ قَالَ : فَذَلِكَ لَكَ قَالَ : فَإِنِّي أَسْأَلُكَ الْغِلْمَةَ أَنْ تَهَبَهُمْ لِي قَالَ : سَلْنِي غَيْرَهُمْ قَالَ :
مَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُمْ فَأَرْسَلَ لَقِيطٌ إِلَيْهِمْ فَدَفَعَهُمْ [ص 131] إِلَى الْمَنْذَرِ فَلَمَّا أَصْبَحَ لَقِيطٌ لَامَهُ
قَوْمُهُ فَنَدِمَ فَقَالَ فِي الْمَنْذَرِ :

إِنَّكَ لَوْ غَطَّيْتَ أَرْجَاءَ هَوَاةٍ ... مُغَمَّسَةً لَا يُسْتَدْتَارُ تُرَابُهَا .
بِثْوَ بَيْكٍ فِي الظُّلُمَاءِ ثُمَّ دَعَا وَتَنَدَّى ... لَجِئْتُ إِلَيْهَا سَادِرًا لَا أَهَابُهَا .
فَأَصْبَحْتُ مَوْجُودًا عَلَى مُلَاوٍ مَا ... كَأَنَّ نُضَيْتَ عَنْ حَائِضٍ لِي ثِيَابُهَا .
قَالَ : فَأَرْسَلَ الْمَنْذَرُ إِلَى الْغِلْمَةِ وَقَدْ مَاتَ ضَمْرَةُ وَكَانَ صَدِيقًا لِلْمَنْذَرِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ
الْغِلْمَةُ وَكَانَ يَسْمَعُ بِشَقَّةٍ وَيَعْجِبُهُ مَا يَبْلُغُهُ عَنْهُ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : تَسْمَعُ
بِالْمَعِيدِيَّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا قَالَ شَقَّةٌ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ وَأَسْعَدَكَ إِلَهُكَ إِنْ
الْقَوْمَ لِيَسْئُوا بِجُزُرٍ يَعْنِي الشَّاءَ وَإِنَّمَا يَعِيشُ الرَّجُلُ بِأَصْغَرِ يَمِهِ لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ
فَأَعْجَبَ الْمَنْذَرُ كَلَامَهُ وَسَرَّهُ كُلَّ مَا رَأَى مِنْهُ قَالَ : فَسَمَاهُ ضَمْرَةَ بِاسْمِ أَبِيهِ فَهُوَ ضَمْرَةُ بِنُ ضَمْرَةَ
وَذَهَبَ قَوْلُهُ " يَعِيشُ الرَّجُلُ بِأَصْغَرِهِ " مِثْلًا وَيَنْشُدُ عَلَى هَذَا :

ظَنَنْتُ بِهِ خَيْرًا فَقَصَّرَ دُونَهُ ... فَيَارُبُّ مَظْنُونٍ بِهِ الْخَيْرُ يُخْلِفُ .
قُلْتُ : وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا مَا يُحْكَى أَنَّ الْحَجَّاجَ أَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِكِتَابٍ مَعَ رَجُلٍ
فَجَعَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَقْرَأُ الْكِتَابَ ثُمَّ يَسْأَلُ الرَّجُلَ فِي شَفْهِهِ بِجَوَابِ مَا يَسْأَلُهُ فَيَرْفَعُ عَبْدُ الْمَلِكِ
رَأْسَهُ إِلَيْهِ فَيَرَاهُ أَسْوَدَ فَلَمَّا أَعْجَبَهُ طَرَفُهُ وَبَيَانُهُ قَالَ مِثْلًا :
فَإِنْ عَرَّارٌ إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ ... فَإِنِّي أُحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمَنْكَرِ

الْعَمَمُ .

فقال له الرجل : يا أمير المؤمنين هل تدري مَنْ عَرَّار ؟ أنا وإِعرار بن عمرو بن شَّاس الأسدي الشاعر